

# المسرح العربي والسينما

بقلم الدكتور محمد يوسف نجم

ان يعد جورج ايض راس هذه الحقبة المسرحية التي انتجت عبد الرحمن رشدي ومحمد تيمور ويوسف وهبي وفاطمة رشدي وروز اليوسف والفرقة القومية وفرقة المسرح الحديث ، والمسرح القومي .

كان المسرح في طوره الاول حتى سنة ١٩١٢ وفي طوره الثاني حتى مطلع العقد الرابع من هذا القرن التسلية الوحيدة التي يرتادها طلاب المتعة واللهو في مصر . ولذا كان ناشطا مزدهرا من الناحية المادية ، وقد شجع هذا الازدهار اصحابه وذويه على الانفاق عليه بسخاء . فالشيخ سلامة حجازي يستحضر الفنين من اوروبه ليشرفوا على اعداد المسرح واخراج المسرحيات ، والطامحون من ذوي اليسار ، كيوسف وهبي ، يسافرون الى اوروبه لتلقي اصول هذا الفن ، كما فعل استاذهم الاكبر جورج ايض ، والفرق الجديدة ، والوجوه الجديدة تظهر في كل يوم . والمؤلف يتقاضى على مسرحيته مائة جنيه او مائتين - هذا قبل ثلث قرن واكثر - والمسارح تشرق بالاضاءة الحديثة، الاضاءة الكهربائية . والصحف والمجلات تنشط في النقد والاعلان والامراء والوزراء يحرصون على حضور حفلات الافتتاح . ذلك عهد مضي ، وتبعه عهد اسود ، زاحمت فيه السينما المسرح بالمناكب ، واجلته عن مكانته الممتازة في النفوس ، مكانة الابن الوحيد في نفوس ذويه . فاستطاعت ان تززع اركانه بتلك الاشباح تحركها على الستارة الفضية صامتة في اول الامر ، مغنية مازحة ضاحكة عندما اخذ الصوت سبيله الى كواليس السينما . فماذا حدث .

بدأت الازمات والنكسات . يوسف وهبي يرهس مسرحه واثاث مسرحه وفرقة فاطمة رشدي تمثل بستائر ممزقة ، ترى منها نجوم السماء ، قبل ان ترى امامها نجوم المسرح ، والحكومة تهب لانقاذ المسرح ، فتؤلف الفرقة القومية سنة ١٩٣٦ ، فتزيد الطين بلة وتكون ضغنا على ابالة . تضم فلول الفرق القديمة ، وتقع الفيين والممثلين بهذه الوظيفة الحكومية التي كانت الاولى من نوعها في مصر . وهب النقد لاصلاح المسرح ، وبلغت النظر الى روائع المسرح العالمي فتترجم بلغة جافة تفرع اذان القوم بمثل الجنادل ، لتنقل اليها احدانا مستهجنة وشخصيات غريبة ، وعواطف مستوردة ، فينفر الجمهور ، وان كان مع وجود السينما لا يحتاج الى ما ينفره من المسرح ، وينفض السامر وتطفأ الانوار في كل ليلة على خيبة تتلوها خيبة ، واخفاق يجر وراءه اخفاقا . وتكرر محاولات الحكومة للاصلاح ويتكرر الاخفاق حتى كانت الثورة .

كانت الثورة ثورة على كل قديم مهتريء في الحياة المصرية ، سياستها واقتصادها واجتماعها وادبها وفنها . وتبدل الجهود للنهوض بالمسرح ، على ان هذا الداء العياء،

المسرح وفنه مستحضر دخيل عرفناه في نهضتنا الثقافية الحديثة على اثر احتكاكنا بالحضارة الغربية . وظهر في المراكز الرئيسية لهذه النهضة - اعني لبنان وسورية ومصر - في اوقات تكاد تكون متقاربة . عرفه لبنان قبل أي قطر عربي اخر حين شمر احد ابناء الاسر المرموقة فيه ، اعني مارون النقاش ، عن ساعد الجد ، واقتبس اساليبه ووسائله كما خبرها في رحلاته الى الغرب ، وبذر بذورها في لبنان فأزاح الستار عن اول مسرحية عربية ، في تاريخنا الفني سنة ١٨٤٧ . واستمر في نشاطه هذا يصلح من اساليبه ويحسن في وسائله حتى احتضر سنة ١٨٥٥ ، فتوقفت الدفقة الفنية الاولى في لبنان وتسرب منها قطرات الى اخيه وابن اخيه ، تحولت بعد عقدين من السنين الى نهر هادر يجري على ارض الكنانة الخصبة المعطاء ، فينثر الورود والازهار على ضفتي الوادي ، فترة تمطت وامتدت وما نزال نتفيا ظلاليها حتى يومنا هذا . وفي ازقة سورية القرن التاسع عشر ، وفي احد خاناتها قام شيخ معمم ، تعشق الموسيقى والغناء منذ الصغر ، وسمع بالتشخيص والشخصين ، في بيروت ، على مرمى حجر كما يقولون ، فتقدم سنة ١٨٦٥ ينسف التقاليد ويجتثها من اصولها وينشئ للدمشقيين مسرحا عربيا ناصعا يشاهدون على خشبته قصص الف ليلة وليلة وعنترة وهارون الرشيد وابي زيد ، يقصها عليهم احياء من بني جنسهم ، باشاراتهم وحركاتهم وافعالهم ، لا بأقوالهم فقط كما كان يفعل الشاعر الشعبي . وفي مصر ، قام يهودي متمصر هو يعقوب صنوع شملته حركة جمال الدين الافغاني فيمن شملت من المكافحين على اختلاف ملهم ونحلهم ، يعرض على المصريين مخازي اسماعيل ومساويء الحكم المطلق ومضار العادات الفاسدة والاخلاق الرجعية الضيقة . واستمر صنوع في حمل هذه الرسالة التي اوحى بها جمال الدين ، منذ سنة ١٨٧٠ حتى اغلق اسماعيل مسرحه وشرده سنة ١٨٧٢ . وفي مصر ، التقى فرع من لبنان ، أمها سنة ١٨٧٦ وفرع من دمشق أمها سنة ١٨٨٤ ، فكونا ذلك النهر العظيم الذي اخرج لنا اعظم الفرق شهرة ونشاطا كفرقة الخياط والقرداحي واسكندر فرح وسلامة حجازي وسواهم . مضى طور النشأة ، وطور المدرسة اللبنانية السورية المتصرفة ، وتخص النشاط التمثيلي في القرن التاسع عشر عن شيخ الممثلين واستاذهم الاعظم جورج ايض . حمل ايض الرسالة منذ سنة ١٩١٢ وتخرج على يديه كبار ممثلي الجيل السابق وجيلنا هذا . تلمذوا عليه ممثلين في فرقته او مشاهدين لمسرحيته او متأثرين بروحه روح الفنان الاصيل الذي اوتي الموهبة وتعهدها بالصقل والدراسة في فرنسا ، فكان اول ممثل عربي اغترف الفن من منابعه الصافية . ولذا يحق لمؤرخ المسرح العربي

والمرض العضال لا يكفي للبراء منه ثماني سنوات ، بل يحتاج الى جيل جديد ، له مثل جديدة ، ومعتقدات جديدة ، هو جيل أبناء الثورة . ونحن على الرغم من تفاؤنا بما وصل اليه المسرح المصري بعد الثورة من تقدم في ادبه وفنسه ، نرى ان هذه الفترة هي فترة انتقال في الفن المسرحي كما هي في السياسة وما يتبعها . وعندما ننتهي من عقابيل الملكية وننعم في صحة الجمهورية سيكون للمسرح شأن آخر .

اما السينما ، خصم المسرح الذي سلبه المقعد الذي كان يتربع عليه جمهوره هائنا مسرورا ، فقد استطاعت بمقوماتها المادية وبمحتواها المتنوع المسلي ان تثب وثبات سريعة ، على انها ما تزال تعاني من القصور الهائلة والتمثيل المفتعل المتكلف ومن الغناء والرقص والنكتة التي يزرعها في المشاهد مهما كانت نائية في مكانها قلقة في موضوعها . وقد بلغ معدل النتاج السينمائي في مصر في السنوات الست الاخيرة سبعين فيلما . وهذا عدد ضخم لو استطعنا استغلاله فنيا وقوميا لاتي اطيب الثمار ولكن كيف ؟

تتلخص ازمة المسرح والسينما في العالم العربي اليوم في نواحي الضعف التالية :

١ - ضعف القصة بوجه عام واعتماد اكثر المؤلفين على القصص الاجنبي بمسخونه ويشوهونه لكي يرضي ذوق الجمهور . وفي اكثر الاحيان لا يتنازل المؤلف الى ان يدلنا على مصدر سرقته .

٢ - ضعف الممثلين بشكل عام ، وتمسكهم بطريقة الاداء الرومنتيكي القائم على الافتعال والتكلف وكثرة الاشارات والصراخ والعيول والمبالغة في العاطفية . اضعف الى ذلك قلة الوجوه الجديدة ، وجعل المحك في اختيارها جمال الهيئة والرشاقة وجمال الصوت لا المهبة والقدرة على التعبير .

٣ - عدم التخصص في الفنون الاعدادية . فالممثل قد يصبح مخرجا وكذلك المصور . وهنالك من يقوم بالتأليف والاخراج والتمثيل والتلحين - احيانا .

٤ - ضعف الاستعدادات في المسارح وفي استديوهات السينما . اكثر المناظر بالية ، تستعمل لاكثر المسرحيات ، مهما اختلف موضوعها وتاريخ حوادثها . وادوات تسجيل الاصوات والتصوير من النوع القديم الذي لفظته السينما في امريكا وفي الغرب .

٥ - نوعية الجمهور : والجمهور هو مصب التهم عند النقاد والفنيين كلما اخفق مؤلف او مخرج او ممثل

اتهم الجمهور . وانا على مثل اليقين ان جمهورنا العربي في غالبيته ، لا يتجافى عن العمل الفني الصحيح بل انه يتقبله ويقبل عليه اذا كان صادقا في تصويره للحياة ، امينا فيما يكشف عنه من مشاعر ، انسانيما فيما يعالجه من مشكلات ، رائعا فيما يصطنعه من اسلوب للتعبير عن ذلك كله . اما الكذب والتزييف والافتعال والالاح على الاعصاب والعواطف بالمواعظ الصريحة والحوادث العنيفة ، والالتواء في عرض ذلك كله ، فمن شأنه ان ينفر ذوى الفطر السليمة ، بل اصحاب الاذواق المثقفة الصعبة . فلعينا اذن ان نتبين حقيقة هذا الفن الذي تقدمه للجمهور وطبيعة الحواجز التي تقف بيننا وبينه كحواجز اللغة والضرب في افاق الرمز والتعمية ورفع اسعار الدخول . وعلينا قبل ان نتهم الجمهور ان نعهده للارتفاع والنهوض بتدريب ذوقه ، وان ننشئه تنشأة فنية صحيحة ، تأخذه بالرفق واللين والتدرج حتى تستحصد ملكاته وتهذب غرائزه فيصبح اقدر على تذوق الفن الرفيع وتتبع نهضته صعبا .

هذه هي العلل ، وقد بسطتها الى حد يدعو الى التفاؤل ، فما هو العلاج ؟ العلاج فيما يختص بالقصة المسرحية او السينمائية ، هي نزول كبار الكتاب الى الميدان ، وقد حدث ذلك في المسرح قبل ان يحدث في السينما ، على ان الاتجاه الجديد في السينما المصرية يبشر بالخير فيما يختص بالقصة ، فقد عالجه كبار الكتاب امثال طه حسين ونجيب محفوظ فنجحت نجاحا كبيرا واستبان لنقاد الفن ان القصة القوية ترفع العمل السينمائي كله ، فالانثر الجليل يقتضي جهودا جليلة لتنهض به .

وفما يختص بالممثل ، علينا ان نتعهد المواهب الجديدة بالصقل والتدريب والتثقيف . وان تجري على ممثلي المسرح خاصة مكافآت ضخمة تصرفهم عن التثوق الدائم الى العمل في السينما ، فيتركون المسرح كلما لوح لهم مخرج سينمائي بعقد على تمثيل فيلم .

اما المخرجون ، والفنيون ، فيجب ان نهىء لهم وسائل الدرس والثقافة ، ونرسلهم في بعثات الى الخارج ونتيح لهم العمل في اكبر المسارح والاستديوهات العالمية ، ليطلعوا على احداث الاساليب في الاخراج والتنفيذ .

اما المسارح فيجب ان يزداد عددها وان تعمم قسي القرى والاقاليم والمدارس . وان تخفض رسوم دخولها ، وكذلك الامر في السينما . اذكيف نطمع في اداء رسالة فنية او ثقافية او قومية الى انسان ، ونطلب منه ان يضحي بثمان قوت يومه في سبيل هذه الثقافة . اما في البلاد التي لا توجد فيها مسارح كلبنان ، فعلى الحكومة ان تبادر الى سد هذه الثغرة الاساسية في النهضة وذلك بانشاء المسارح الرسمية في المدن والقرى .

اما الجمهور ، فعفا الله عما سلف ، ولنبدأ من جديد لنبدأ بالمدارس فنجعل الفن ، بجميع فروعه جزءا اساسيا من التعليم . وان نشجع التمثيل المدرسي وندرس الاساليب التي تتبعها المدارس الرسمية والخاصة في امريكا واوروبا في نشر الوعي الفني والتمثيلي بين تلاميذها .

واخيرا على الحكومات ان تعتبر المسرح عملية لا تأتي بربح الى حين حتى نربي اذواق الجمهور على الاستمتاع به وتقديره فيصبح ارتياد المسارح عادة ثانية لهم .

هذه صورة فاتمة ، قد توحى للبعض بان المريض قد اشفى ، ولا امل في شفائه . ولكنني ارى الامر من وجه

- البقية على الصفحة ٧٣ -

اطلبوا كتب دار الاداب

في المغرب

من

المركز الثقافي العربي

بالدار البيضاء - ٤٢ - ٤٤ الشارع الملكي بالاجناس

تلفون ٥١ - ٢٧٨

## المسرح العربي والسينما

- تمة المنشور على الصفحة ١٢ -

آخر اذ اعتبر معضلة المسرح والسينما جزءا من معضلة الحياة العربية حياة كانت مفككة هزيلة تنهشها اظافر الاستعمار والفرقة والاستغلال والرجعية المتاجرة . فلا عجب اذن ان تكون صورة هذه الحياة ، والتعبير الفني عنها ، على ما بينا . اما صورة الحاضر فانها تبدو لسي من وراء الافق براقعة لامعة تبشر بالخير العميم ، فمصر الثورة تنهض في السياسة والاقتصاد والاجتماع وذلك يستتبع نهضة في الاداب والفنون . والجمهورية العربية تظهر الى الوجود مجسمة امال العرب مكملة ما كان لهم من مجد انتهى بانقضاء العصر الاموي ، تحدوها الروح الفدائية المتوثبة وتهدي خطاها القيادة القوية الرشيدة ، فالتفاعل لا بد حادث والتغير لا بد واقع ، وانا لمنتظرون .

وبعد ، فقد تحدثنا عن الاداة وعيوبها وعن خيبر الطرق لشحذها واعدادها فكيف نوجه هذه الاداة لخدمة المجتمع القومي الذي نعيش فيه .

اجدني هنا في موقف حرج . فنقادنا اليوم ينادون بالالتزام في الادب والفن ، اي توجيههما لخدمة المجتمع والقضايا القومية بطريقة مباشرة . وليسمح لي السادة النقاد ان اخالفهم في فهمي لمعنى الالتزام . وقبل ان يسارع البعض الى رمي بالتهمة المختلفة ، ليس اقلها الخروج عن اجماع القوم احب ان ابادر الى طرح رأيي في هذا الموضوع: اولاً - ان فكرة الفن للفن التي يهاجمها نقادنا اليوم،

لها في تاريخ النقد ظروف وملابسات . . . فقد كانت رد فعل لميوعة الحركة الرومنطيقية وتحولها الى غناء محموم عن الذات . فانبرى ادباء البرناس حينئذ يدافعون عن صفاء الادب ونصاعته ، فهاهبوا بالادباء ان يعودوا الى الصورة الشعرية المثقنة ، ونادوا ان الفن للفن ، وقالوا ليس الفن للتغني بالذات والانطواء على النفس بل هو للفن اي للصورة الفنية .

ثانياً - ارى ان الاديب ملتزم بطبيعة وجوده ، فهو انسان حي يعيش في مجتمع امده ويمده دائما باسباب التأثير والانفعال . وهو بحسه الصادق العميق وبموهته الفذة في التعبير ، يعكس لنا صورة احساسه في نفسه ، هذه النفس التي تقع دوما تحت التأثير المتلاحق الملح للبيئة اي المجتمع ومؤسساته ومشكلاته . فكل اديب ملتزم بالقوة . وعمل الظروف الطارئة والمؤثرات التي تتعاوده من الخارج ، والثورات الاجتماعية والهزات السياسية ان تخرج بهذه « القوة » الى حيز « الفعل » .

ثالثاً - ليس هنالك اديب برجوازي واديب برجعاي او اديب رجعي واديب متحرر او اديب قومي او اديب اقليمي . هنالك اديب صادق وحسب . ومعنى ذلك ان هنالك موهبة قوية واحساسا عميقا وقدرة فذة على التعبير بصدق واخلاص . وهذه الصفات او هذه القوى هي التي تؤهل صاحبها لحمل لقب الاديب . ومعنى ذلك انه ليس عندنا سوى تصنيفين لحملة الأقلام - اديب ، ولا اديب . فالاديب ملتزم بطبعه لانه يحس بالحياة على نحو عميق ، اعلم من احساس الشخص العادي ، ويعبر عن هذا الاحساس بنحو دقيق صادق ملهم مؤثر . وهذان

العاملان : العمق في الاحساس والصدق في التعبير ، هما خط الالتزام الادبي ، اذ بهما تتسع امداء حياة القارئ والمتدوق ، وتتضاعف اختياراته . وحسب الادب هذه الرسالة الشريفة يؤديها بامانة واخلاص . لان اتساع مدى حياة القارئ يعينه على ان يفهم الحياة فهما صحيحا صادقا مهذبا . ومن يفهم الحياة على وجهها الصحيح ، يعمل لاستبقائها في احسن حالاتها . واستبقاء الحياة في احسن حالاتها يعني اسعاد النفس واسعاد الغير وخدمة الانسان ، في اعلم معاني انسانيته ، سواء اكان هذا مواطنا تربط مصلحتي المباشرة السريعة بمصلحته ام اي انسان آخر تربطني به وشيجة الانسانية . فالاديب الرصين الصادق هو فهم جديد لمعنى الحياة ، وما اكثر معانيها ، فهو اذن سلاح جديد في يد الانسان يساعده على الاحتفاظ بحياته وحياة غيره في احسن صورها ، ويفل به اخطر سلاح مهما افتن دعاة الشر في اختراع اسلحة الفتن والتدمير . هي سلاح السلام وناصره حين تعز اسلحة السلام ويقل ناصروه . الا فلنعمل جميعا متعاونين لخلق الاديب الصادق وتوفير اسباب الاعداد والراحة له ، ولنتركه بعد ذلك يكتب بما يوحيه اليه احساسه الصادق العميق بالحياة فانه لاشك مؤد هذه الخدمة الجليلة التي تنتظرها منه ، مادام حي الضمير متيقظ الوجدان يعيش بين احياء شرفاء ، ويستمد وحيه من حياة كريمة خيرة . والويل له بعد ذلك ان انحرف ، فان الف سلاح وسلاحا سستهر في وجهه ، ليس اقلها سلاح محاسبة الضمير . وهل سلاح اقوى من الضمير ؟

محمد يوسف نجم

في الاسواق

## نأملات وجودية

بقلم الدكتور

زكريا ابراهيم

■ لون جديد لم يعرفه الادب العربي من قبل

■ خواطر ويوميات تشتمل بالفكر والحياة وتتناول مشاكل الوجود والموت والعدم والظلام ، وتذكرنا بيوميات كيركجورد وغابرييل مارسيل .

■ مذكرات حية تلوح كلعن من النجوم وسط حلقة الجفاف الاكاديمي .

■ كتاب هام يعيش قضية « الفكر » وسوف يكون بدء سير في طريق جديد من طرق التعبير بالعربية

منشورات دار الاداب

الثن ٢٥٠ ق.ل